ترجمة المؤلف(١)

هو محمدُ بنُ بدرِ الدين بنِ عبد القادر بن محمد، الشيخُ، العلاَّمةُ، المحقق، الفهامةُ، الورِعُ، الزاهدُ، القدوةُ، العالمُ، العاملُ، الحجةُ، بقيةُ السلف الصالحين، خاتمةُ المسندين، شيخُ الإسلامِ، أبو عبدالله، شمسُ الدين، البلبانيُّ، البعليُّ، ثم الدمشقيُّ، الصالحيُّ، الخزرجيُّ، أحدُ الأئمةِ الزهادِ، وواحد العلماءِ الأفرادِ، المتضلعُ من العلومِ عقليِّها ونقليِّها.

ولدَ بدمشق سنة ستٍ بعد الألف، ظناً ـ كما قاله ـ.

وكان من كبار أصحابِ الشهاب أحمد بن أبي الوفا الوفائي في الحديث والفقه، ثم زاد عليه في معرفة فقهِ المذاهبِ زيادةً على مذهبه، فكان يُقرِىءُ في المذاهبِ الأربعةِ.

وسمعَ ببعلبكَ وبدمشقَ على الشهابِ أحمدَ العيثاويّ الكبير، والشمسِ محمد الميداني، وأفتى مدة عمره، وانتهت إليه رئاسة العلم بالصالحية بعد وفاة الشيخ علي القبردي.

وأخذ صاحب الترجمة علم الفقه عن الشهابِ أحمدَ بن علي الوفائي، وعن أكمل القضاة وأولى الولاة القاضي محمود بن عبد الحميد الحميدي.

وكان عالماً عاملاً، ورعاً زاهداً، معمَّراً، فقيهاً، محدثاً، عابداً، قطع أوقاته في العبادة والعلم والكتابة والدَّرْس والطلب، حتى مكّن الله ـ تعالى ـ منزلته من القلوب، وأحبه الخاصُّ والعامُّ.

وكان ربَّانياً، متألِّها، متواضعاً، مخفوض الجناح، حسن الخُلق والخَلْق والصحبة، حلوَ العبارة، كثير التحري في أمر الدين والدنيا، منقطعاً إلى الله ـ تعالى ـ.

وكان كثيراً ما يورد كلام الحافظ أبي الحسن علي بن أحمد الزيدي ـ نسبةً لزيد بن علي بن الحسين؛ لأنه من ذريته ـ ويستحسنه، وهو قوله: «اجعلوا النوافل كالفرائض، والمعاصي كالكفرِ، والشهوات كالسُّمِّ، ومخالطة الناس كالنَّار، والغذاء كالدواء».

وقد عقد هذه المقالة جدي والدُ والدي الإمامُ العلامةُ أبو المعالم شمسُ الدين محمدُ بن عبد الرحمن الغزّي العامري، بقوله:

اجْعَلِ النَّفْـلَ كـالفروضِ وقُـرْبَ ـاسِ كالنَّارِ تُنْفَ هَمَّاً وَغَمَّا
واجْعَلِ الأَكْلَ كالدَّوَا وَالمَعَاصِيْ مِثْلَ كُفْرٍ وَشَهْوةَ النَّفْسِ سُمَّا

وكانَ صاحبُ الترجمة في أحواله مستقيماً على أسلوبٍ واحد منذ عُرف؛ فكان يأتي من بيته إلى المدرسة العمرية في الصباح، فيجلس فيها، وأوقاتُهُ منقسمة إلى أقسام: إمّا صلاة، أو قراءة قرآن، أو كتابة، أو إقراء.

وانتفع به خلق كثير، وأخذ عنه جمع من أعيان العلماء، منهم الإمام المحقق محمد بن محمد بن سليمان المغربي، والوزير الكبير مصطفى باشا بن محمد باشا الكوبري، وابن عمه حسين الفاضل، والشيخ الإمام

أبو المواهب الحنبلي، والشيخ عبد القادر بن عبد الهادي العمري الشافعي، وأبو الفلاح عبد الحي العكري الصالحي، والأمين المحبي، والإمام المسند السيد سعدي بن السيد عبد الرحمن بن محمد بن حمزة الحسيني، والشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني، والقاضي بدر الدين محمد المناشيري.

واتفق أهل عصره على تفضيله وتقديمه.

وله من التآليف النافعةِ (مختصرٌ في الفقه) في المذهب صغير الحجم كثير الفائدة، ومختصر في التجويد مشهور بـ (الرسالة البلبانية)، وغير ذلك من الفوائد والآثار.

وله محاسن ولطائف مع العلماء، وولي خطابة الجامع المظفري المعروف بـ «جامع الحنابلة» بصالحية دمشق المحروسة، وكان الناس يقصدون الجامع المذكور للصلاة والتبرك به، وبالجملة فقد كان بقيةَ السلف وبركةَ الخلف.

وكانت وفاتُهُ ليلةَ الخميس، لتسعٍ خلت من رجبٍ الفرد من شهور سنة ثلاث وثمانين وألف، وصَلَّى عليه بالجامع المظفري ولدُه الفاضلُ الشيخ عبد الرحمن بجمع عظيمٍ حافلٍ بالناس، ودُفنَ بسفح جبل قاسيون في الطَّرَفِ الشرقي بالقرب من الروضة، وكان له مشهد عظيم ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين ـ.

وأرَّخَ وفاتَهُ المرحومُ القاضي إبراهيم بن محمد الغزالي الصالحي بقوله:

شَيخُنَا الخَزْرَجِيُّ ذُو الشَّرفِ كَانَ قُطْبَاً في الشَّامِ غَيْرَ خَفِي

رَاحَ عَنَّا وَسَارَ مُرْتَقِيَاً لأَعَاليْ الجِنَانِ وَالغُرَفِ

قُلْتُ لَمَّا قَضَى أُؤَرِّخُهُ: (مَاتَ قُطْبُ الشَّآمِ وَا أَسَفِيْ)

❐❐❐